

59

قصص الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (3)

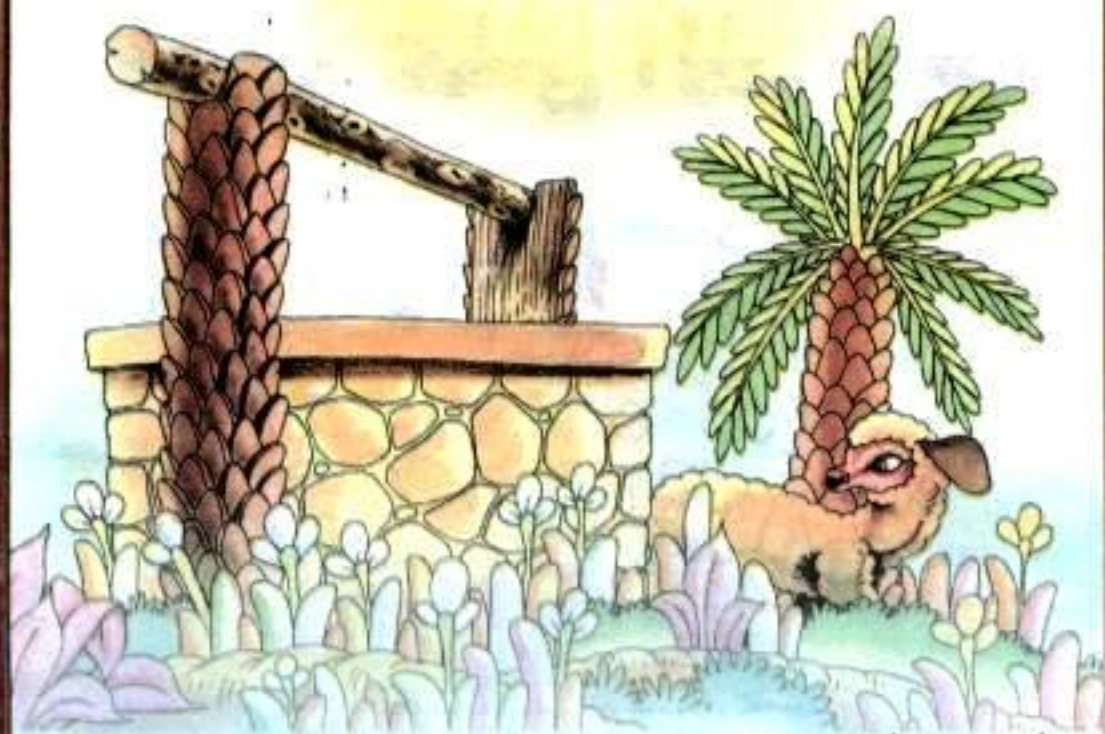
حفر زمزم

بتأليف: أ. عبد الحميد عبد القادر

وسوم: أ. عبد الشافي سيد

إشراف: أ. حمدي مصطفى





أَمَرَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ بِحَفْرِ بئْرٍ زَمْزَمَ ، فَلَمَّا بَدَأَ الْحَفْرَ ،
قَامَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ وَحَاوَلَتْ مَنَعَهُ مِنَ الْحَفْرِ وَحَدَهُ ،
حَتَّى يَكُونَ لَهَا نَصِيبٌ فِي الْبئْرِ فَرَفَضَ

عَبْدُ الْمَطْلَبِ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ قَدْ خُصَّ بِهَذَا
الشَّرَفِ دُونَهُمْ .. وَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لِابْنِهِ الْحَرْثِ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ يَوْمَهَا وَلَدٌ غَيْرُهُ :
- ذُدَّ عَنِّي حَتَّى أَحْفَرَ ..

فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَطْلَبِ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْوَلَدِ مَنْ
يُدَافِعُ عَنْهُ ، نَذَرَ لِلَّهِ أَنَّهُ إِذَا رُزِقَ عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ ثُمَّ
كَبُرُوا ، حَتَّى صَارُوا رِجَالًا يَذُودُونَ عَنْهُ أَنْ يَنْحَرَ
(يَذْبَحُ) أَحَدَهُمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ..
فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ :

- لَنْ نَتْرُكَكَ تَحْفَرُ حَتَّى يَكُونَ لَنَا نَصِيبٌ فِي زَمْرَمَ ،
أَوْ نَجْعَلَ مَنْ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِيهَا ..

فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْمَطْلَبِ :
- اخْتَارُوا مَنْ شِئْتُمْ لِيَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِي هَذَا
الْأَمْرِ ..

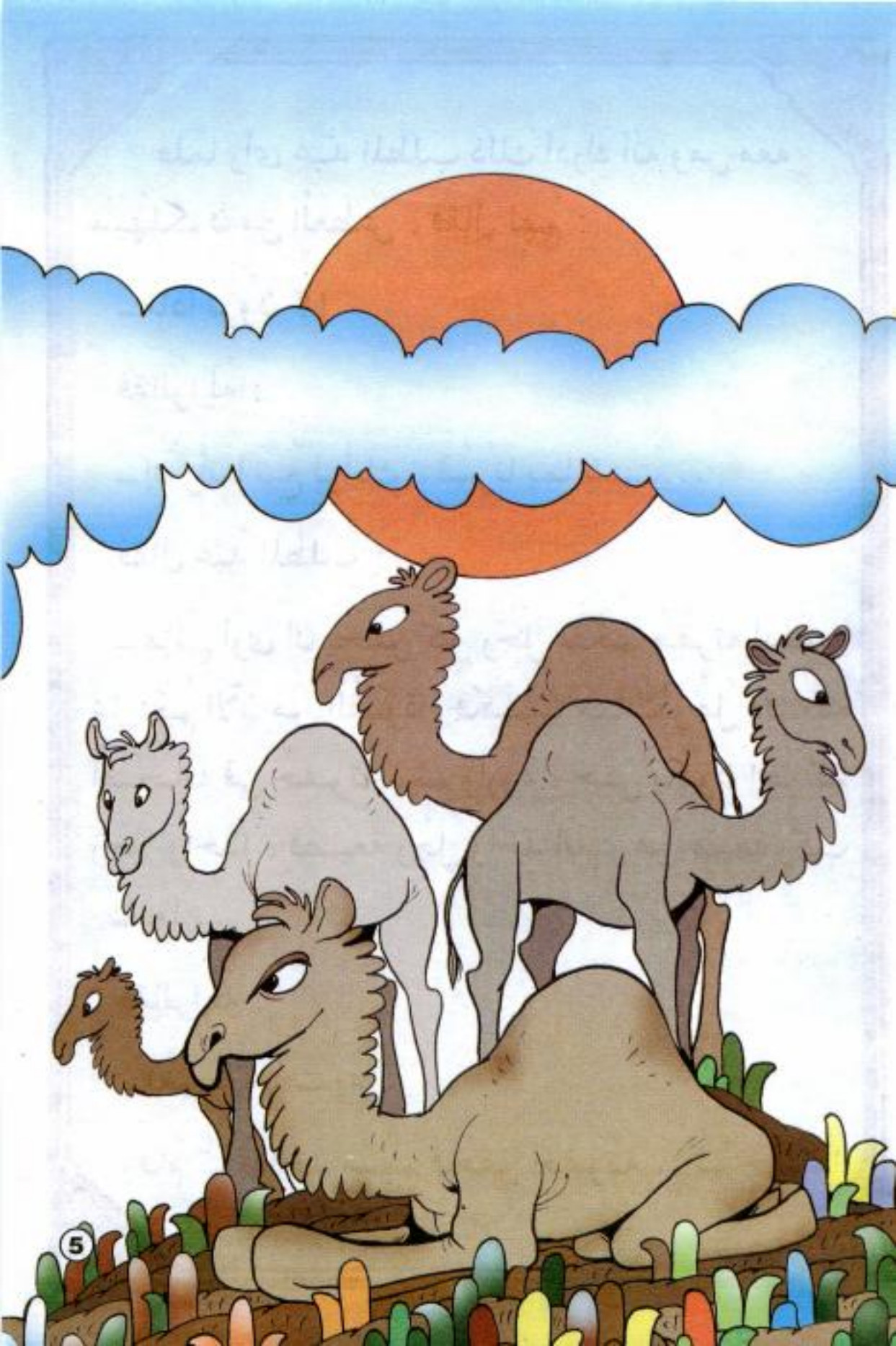
فَاخْتَارَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يَذْهَبُوا مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
إِلَى كَاهِنَةِ بَنِي سَعْدٍ بِأَطْرَافِ الشَّامِ لِتَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
فِي هَذَا الْأَمْرِ .

وَهَكَذَا تَجَهَّزَتْ قُرَيْشٌ لِلسَّفَرِ إِلَى كَاهِنَةِ بَنِي سَعْدٍ ،
فَاخْتَارُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَفَرًا ، وَأَخَذَ
عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَعَهُ بَعْضَ أَقَارِبِهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ..

وَسَارَ الْمَوْكِبُ يَقْطَعُ الصَّحْرَاءَ ، إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ
السَّفَرُ فِي الصَّحْرَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ شَاقًّا يَقْطَعُهُ
الْمُسَافِرُونَ عَلَى الْجُمَالِ ، وَقَدْ تَزَوَّدُوا بِالمَاءِ وَالطَّعَامِ ..

فَلَمَّا كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي
الصَّحْرَاءِ ، نَفَدَ المَاءُ الَّذِي كَانَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَقَارِبِهِ
، بَيْنَمَا كَانَ مَعَ الْمُسَافِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مَاءٌ ، فَطَلَبَ
مِنْهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَاءً لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ ، فَرَفَضُوا أَنْ
يُعْطُوهُمْ المَاءَ ، وَقَالُوا لَهُمْ :

- إِنَّا فِي الصَّحْرَاءِ ، وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى أَنْفُسِنَا مِثْلَ
مَا أَصَابَكُمْ ..



فلما رأى عبد المطلب ذلك أدرك أنه ومن معه
سيهلكون من العطش ، فقال لهم :

- ماذا ترون ؟ !

فقالوا له :

- إن رأينا تبع لرأيك ، فمرنا بما شئت ..

فقال عبد المطلب :

- فإنني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه
بما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه
أصحابه في حفرة ، ثم واروه ، حتى يكون آخركم
رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب
جميعاً ..

فقالوا له :

- نعم ما أمرت به ..

وقام كل واحد منهم فحفر حفرة .. ثم جلسوا

يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ عَطْشًا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لِأَصْحَابِهِ :
- وَاللَّهِ إِنَّ جُلُوسَنَا وَانْتِظَارَنَا الْمَوْتَ هَكَذَا لَعَجْزٌ ..

لِمَاذَا لَا نَرْتَحِلُ ، فَعَسَى أَنْ يَرْزُقَنَا اللَّهُ مَاءً ؟ !

وهَكَذَا تَهَيَّئُوا لِلرَّحِيلِ ، وَتَقَدَّمْ عَبْدُ الْمَطْلَبِ إِلَى
نَاقَتِهِ فَرَكَبَهَا ، فَلَمَّا ضَرَبَتِ الْأَرْضَ بِخُفِّهَا انْفَجَرَتْ
مِنْ تَحْتِهِ عَيْنٌ مَاءٍ عَذْبٌ ، فَنَزَلَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ فَشَرِبَ
وَشَرِبَ مِنْ مَعَهُ .. ثُمَّ مَلَأُوا أَوْعِيَتَهُمْ ، وَدَعَا
عَبْدُ الْمَطْلَبِ مَنْ مَعَهُ مِنْ قِبَائِلِ قَرِيْشٍ قَائِلًا :

- هَلُمُّوا إِلَى الْمَاءِ ، فَقَدْ سَقَانَا اللَّهُ ، فَاشْرَبُوا وَأَمْلَأُوا
أَوْعِيَتَكُمْ ..

فَجَاءُوا فَشَرَبُوا وَسَقَوْا دَوَابَّهُمْ وَمَلَأُوا أَوْعِيَتَهُمْ ، ثُمَّ
قَالُوا لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ :

- إِنَّ الَّذِي سَقَاكَ هَذَا الْمَاءَ بِهَذِهِ الصَّحَرَاءِ ، لَهُوَ الَّذِي
سَقَاكَ زَمْزَمَ ، فَارْجِعْ إِلَى سَقَايَتِكَ رَاشِدًا .. فَرَجَعَ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى كَاهِنَةِ بَنِي سَعْدٍ ..

وَبَدَأَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ الْحَفَرَ ، فَلَمْ يَحْفَرْ كَثِيرًا حَتَّى
ظَهَرَ الْمَاءُ . وَاسْتَمَرَ فِي الْحَفْرِ فَعَثَرَ عَلَى غَزَالَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ
، وَهُمَا الْغَزَالَانِ اللَّذَانِ كَانَتْ جُرَّهُمْ قَدْ دَفَنْتَهُمَا فِي
الْبُئْرِ قَبْلَ رَحِيلِهَا إِلَى الْيَمَنِ .. كَمَا وَجَدَ فِيهَا سَيْوَفًا
وَدُرُوعًا .. فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ حِينَ رَأَتْ ذَلِكَ :

- يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ ، لَنَا مَعَكَ نَصِيبٌ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ..

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ :

- لَا ، وَلَكِنْ نَضْرِبُ عَلَيْهَا الْقِدَاحَ ..

فَقَالُوا لَهُ :

- وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ !

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ :

- أَجْعَلُ لِلْكَعْبَةِ قِدْحَيْنِ ، وَلِي قِدْحَيْنِ ، وَلَكُمْ

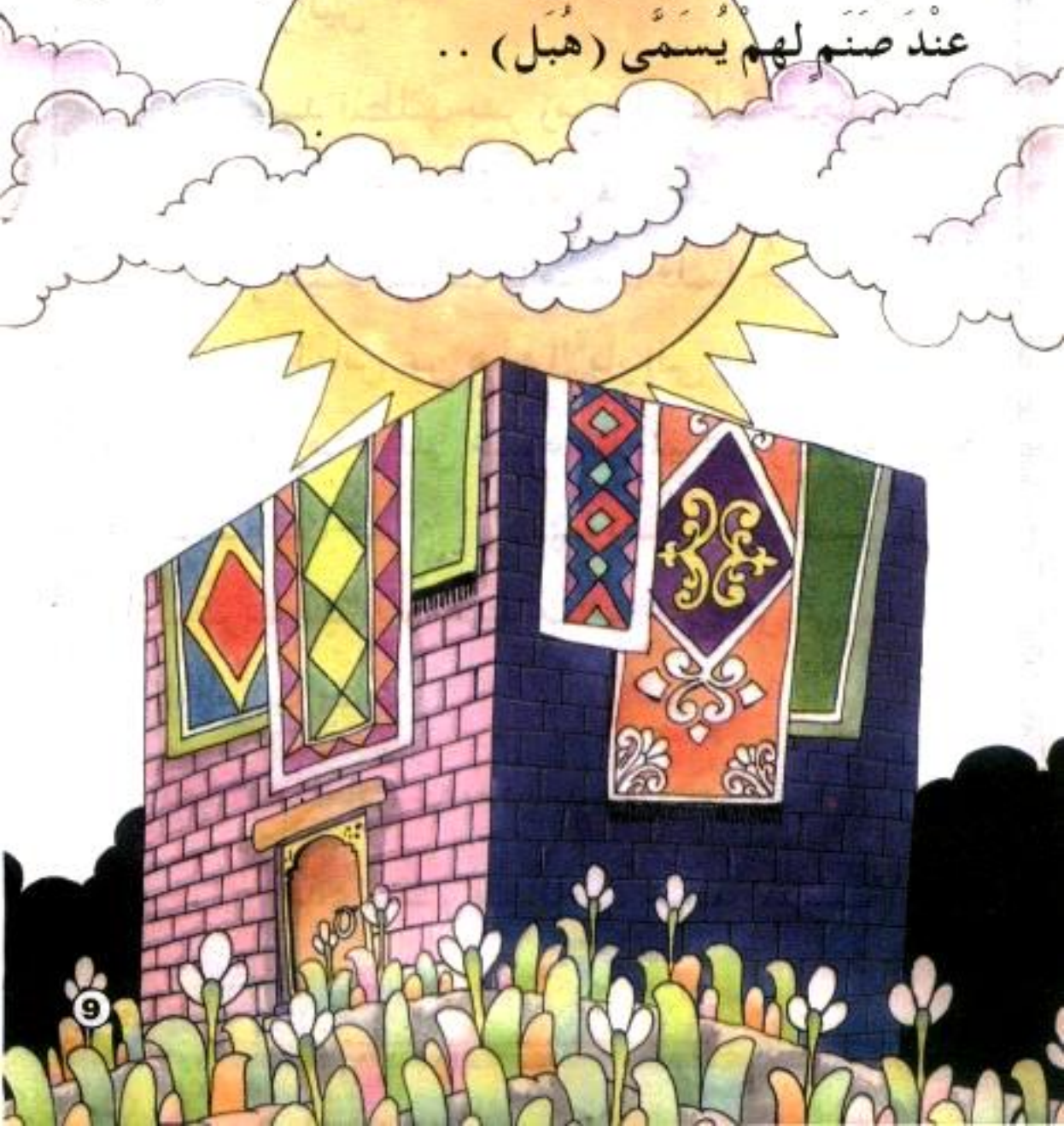
قِدْحَيْنِ .. فَمَنْ خَرَجَ لَهُ قِدْحَاهُ ، عَلَى شَيْءٍ كَانَ لَهُ ،

وَمَنْ تَخَلَّفَ قِدْحَاهُ ، فَلَا شَيْءَ لَهُ ..

فَقَالُوا لَهُ :

— أَنْصَفْتَ (أَيَّ عَدَلْتَ) ..

وَقَدْ كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِذَا أَرَادُوا فِعْلَ
شَيْءٍ ضَرَبُوا عَلَيْهِ الْقِدَاحَ .. وَكَانُوا يَضْرِبُونَ الْقِدَاحَ
عِنْدَ صَنَمٍ لَهُمْ يُسَمَّى (هَبْل) ..



فَلَمَّا ضَرَبُوا الْقِدَاحَ فَازَتِ الْكَعْبَةُ بِالْغَزَالَيْنِ ، وَفَازَ
عَبْدُ الْمُطَّلَبِ بِالسُّيُوفِ وَالْدُرُوعِ ، أَمَا قُرَيْشٌ فَلَمْ تَفْزُ بِشَيْءٍ ..
وَصَنَعَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ مِنَ السُّيُوفِ بَابًا لِلْكَعْبَةِ ،
وَحَلَاهُ بِالْغَزَالَيْنِ ..

وَجَعَلَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ بئرَ زَمْزَمَ لِسَقَايَةِ حُجَّاجِ بَيْتِ
اللَّهِ الْحَرَامِ .. وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ حَفَرَتْ آبَارًا كَثِيرَةً
قَبْلَ حَفْرِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ لَزَمْزَمَ ، فَلَمَّا حَفَرَتْ زَمْزَمَ
انْصَرَفَ النَّاسُ عَنْ هَذِهِ الْآبَارِ إِلَى زَمْزَمَ ، وَذَلِكَ
لِفَضْلِ مَاءِ زَمْزَمَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمِيَاهِ ، وَلِمَكَانَةِ زَمْزَمَ
مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَلِأَنَّهَا بئرُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وافتخرت بها بنو عبد منافٍ على قُرَيْشٍ ، وَعَلَى
سَائِرِ الْعَرَبِ جَمِيعًا ..

وَمَضَتْ سَنَوَاتٌ عَدِيدَةٌ بَعْدَ حَفْرِ بئرِ زَمْزَمَ ..
وخلال هذه السَّنَوَاتِ أَنْجَبَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ أَوْلَادًا
وَبَنَاتَ ..

وجاء اليوم الذي بلغ فيه عدد أولاد
عبد المطلب الذكور عشرة من الولد .. وها هو ذا
أصغرهم عبد الله يبلغ مبلغ الرجال .. (أصغرهم في
ذلك الوقت لأنه أنجب بعد ذلك) نظر عبد المطلب
إلى بنيه العشرة ، وقد صاروا رجالاً أقوياء يدافعون
عنه وينصرونه إذا اعتدى عليه معتد ، أو ظلمه ظالم ..

وتذكر عبد المطلب النذر الذي كان قد نذره يوم هم
بحفر زمزم ، وحاولت قريش التصدي له ، ومنعه من
نيل هذا الشرف العظيم .. تذكر أنه نذر يومها لو
رزقه الله بعشرة من الولد ، وبلغوا معه مبلغ الرجال
أن يذبح أحدهم عند الكعبة .. وتذكر أنه قد حان
الوقت ليفي بنذره ..

ولذلك جمع عبد المطلب أبناء العشرة وأخبرهم
بالنذر الذي نذره ، فقالوا له جميعاً :

— سمعاً وطاعة يا أبت ، ولكن ماذا تصنع حتى تفي

بنذرك ؟!

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ :

- لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قِدْحًا ، ثُمَّ يَكْتُبُ فِيهِ اسْمَهُ ،

ثُمَّ أَتُونِي ..

فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ الْعَشْرَةَ قِدْحًا
وَكَتَبَ فِيهِ اسْمَهُ ، ثُمَّ أَتَوْا أَبَاهُمْ ، فَأَخَذَهُمْ

عَبْدُ الْمُطَّلَبِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تُضْرَبُ فِيهِ الْقِدَاحُ عِنْدَ
صَنْمِ هُبَلٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، وَطَلَبَ مِنَ الرَّجُلِ
الْمُخَصَّصِ لَضَرْبِ الْقِدَاحِ أَنْ يَضْرِبَ عَلَى بَنِيهِ الْعَشْرَةَ
لِيَعْرِفَ أَيُّهُمْ سَيَقَعُ عَلَيْهِ الْاِخْتِيَارُ لِيَذْبَحَهُ ..

جَمَعَ الرَّجُلُ الْمَخَصَّصُ لَضَرْبِ الْقِدَاحِ ، الْقِدَاحَ مِنْ
أَيْدِي أَبْنَاءِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ الْعَشْرَةَ ، وَضَرَبَهَا فَخَرَجَ قِدْحُ
عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَمْسَكَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ السُّكَيْنَ وَأَخَذَ وَلَدَهُ
عَبْدَ اللَّهِ لِيَذْبَحَهُ عِنْدَ صَنْمَى إِسَافٍ وَنَائِلَةَ ، فَلَمَّا رَأَتْ
قَرِيشٌ ذَلِكَ ، قَامُوا إِلَيْهِ لِيَمْنَعُوهُ مِنْ ذَبْحِ وَلَدِهِ ..
فَقَالُوا لَهُ :

- مَاذَا تُرِيدُ يَا عَبْدَ الْمُطَّلَبِ ؟ !

فقال عبد المطلب :

- أذبحه وفاءً لنذري ..

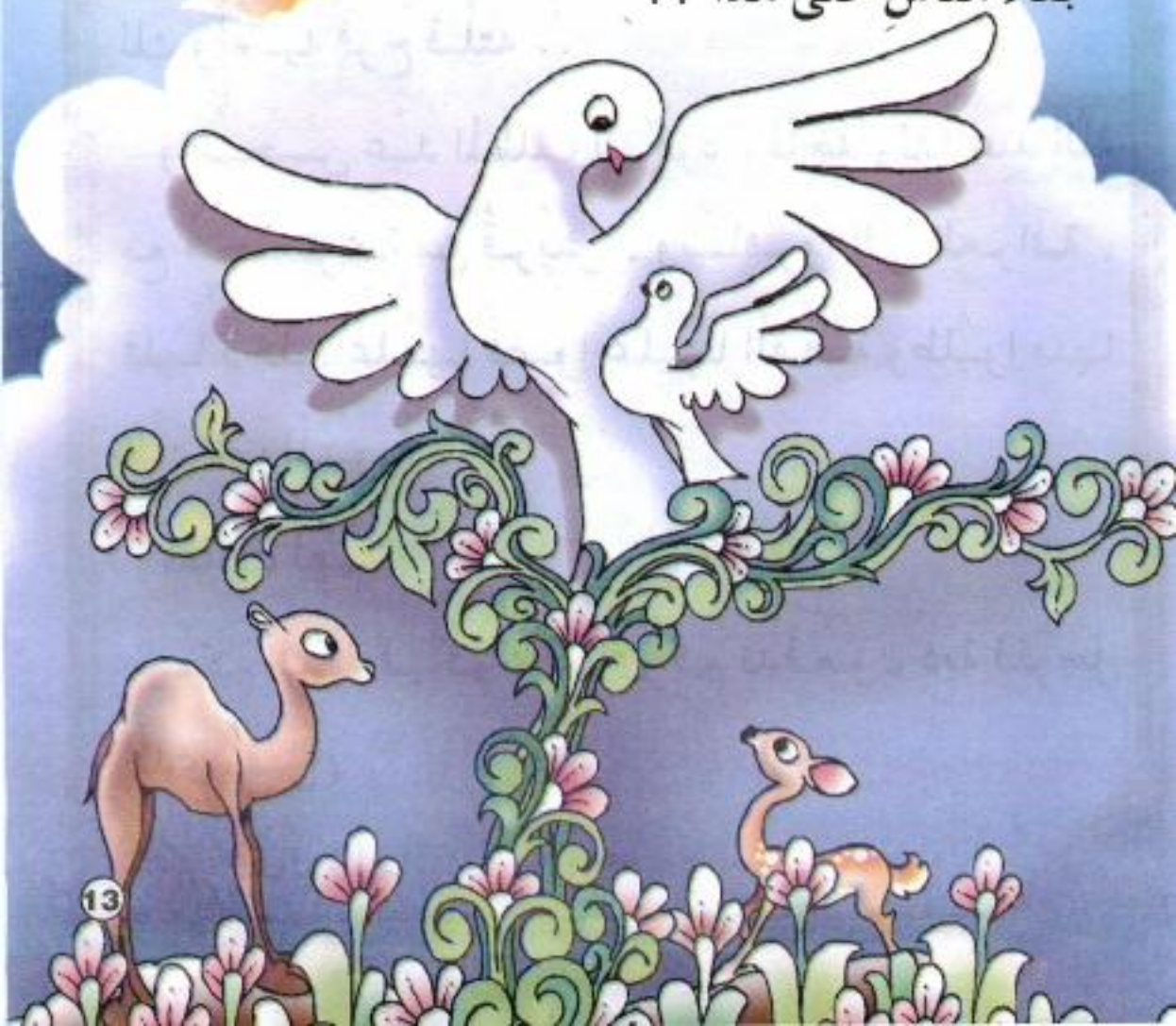
فقالوا له :

- والله لا تذبحه أبداً ، حتى تعذر فيه (أى حتى

ترى إن كانت له فدية من الأموال فديته بها) لكن

فعلت ذلك لا يزال الرجل يأتي بابنه ، فيذبحه ، فما

بقاء الناس على هذا ؟ !



وقال أخوال عبد الله :

- والله لا تذبحه أبداً ، حتى تعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه ..

وقالت قريش وإخوة عبد الله :

- لا تذبحه ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإن به عرافة ، فسألها ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته ..

واستحسن عبد المطلب الفكرة ، فأخذ ولده عبد الله مع مجموعة من قريش ، وسافروا إلى العرافة ، فلما دخلوا عليها قصوا عليها القصة وطلبوا منها النصح والمشورة ..

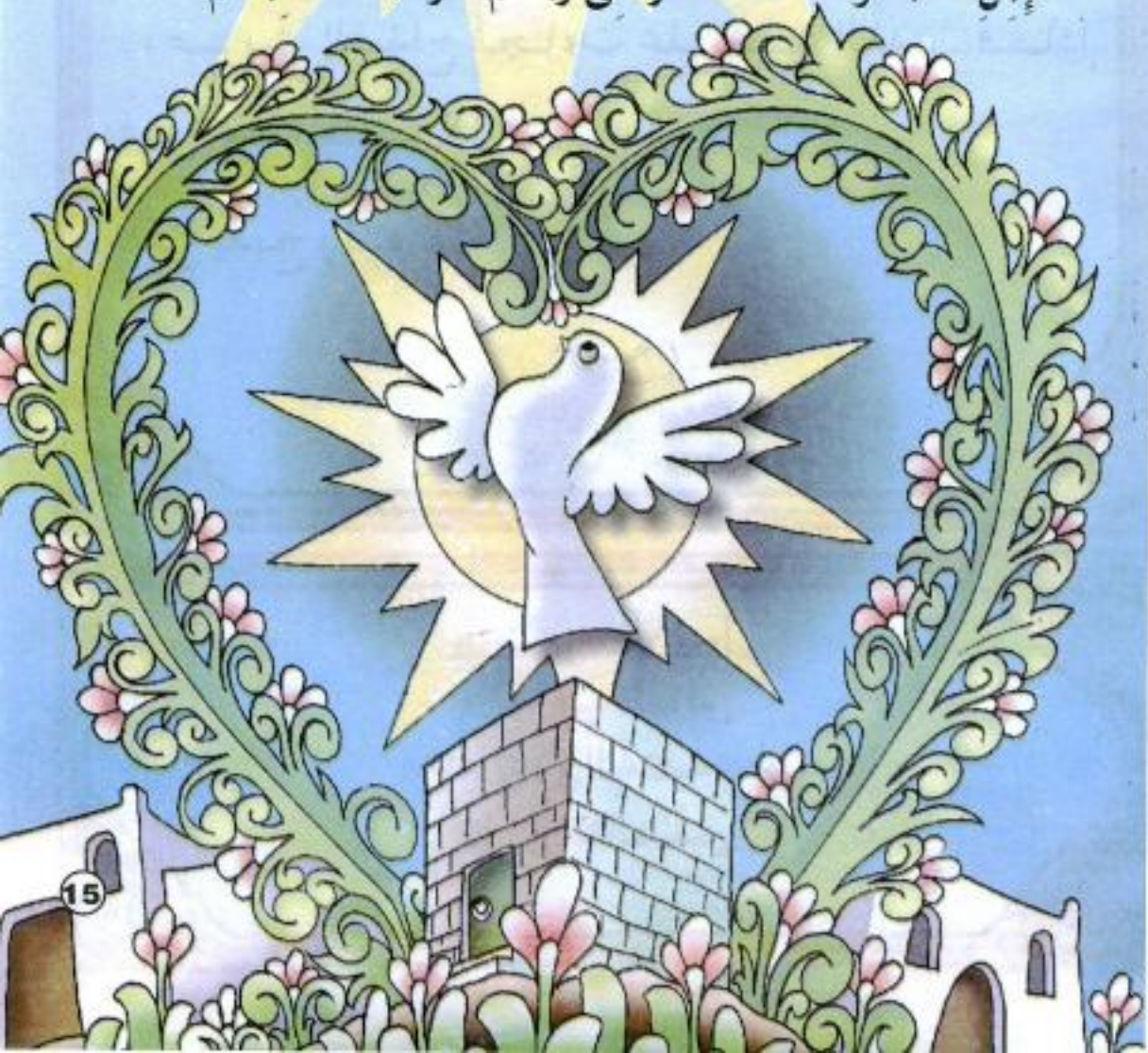
ف قالت لهم :

- كم الدية فيكم ؟ ! (أى كم تدفعون دية للرجل الذى يقتل) .

فقالوا لها :

- عَشْرٌ مِنَ الْإِبِلِ ..
فَقَالَتِ الْعَرَّافَةُ :

- ارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ، ثُمَّ قَرِّبُوا صَاحِبَكُمْ ، وَقَرِّبُوا
عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ اضْرِبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ الْقِدَاحَ ، فَإِنْ
خَرَجَتْ عَلَى صَاحِبِكُمْ ، فَزِيدُوا مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْلِدُوا
ضَرْبَ الْقِدَاحِ ، حَتَّى يَرْضَى رَبُّكُمْ ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى
الْإِبِلِ فَادْبَحُوهَا عَنْهُ فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ ، وَنَجَا صَاحِبُكُمْ ..



وهكذا عاد عبد المطلب مع ولده عبد الله
ووفد قريش من عند الكاهنة ، وقد رضوا بهذا الرأي ،
الذى سيكون فيه نجاة عبد الله من الذبح ..

وأحضر عبد المطلب عشراً من الإبل فأوقفها في
جانب وأوقف ولده عبد الله في الجانب الآخر ، ووقف
عبد المطلب يدعو الله (عز وجل) أن ينجي ولده ..

وضربت القداح فجاءت على عبد الله .. فماذا
يفعل عبد المطلب ؟!
هل يذبح ولده ؟!

(يتبع)

رقم الإبداع : ٢٠٠٢/١٩٠٥٣

الترقيم الدولي : ٦٠ - ٨٤١ - ٢٦٦ - ٩٧٧

فصل الأنبياء

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٤) أصحاب الفيل

احرص على اقتنائه